

### السيرة 13 الاسراء والمعراج

الحمد لله وكفى، والصلاة والتسليم على النبي المصطفى. طلابنا الكرام مرحبا بكم أينما كنتم، أحبيكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. الإسراء والمعراج حادثة جرت ليلا سنة 621 ميلادية، ما بين السنة الحادية عشرة إلى السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية. وقيل إنها قبل الهجرة بسنة، وقيل قبل الهجرة بخمسة عشر شهرا، وقيل بثلاث سنين، وقيل بخمس.

وهي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الأحداث البارزة في تاريخ الدعوة الإسلامية. وقد أسرى الله بنبيه صلى الله عليه وسلم على البراق مع جبريل ليلا من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس. يقصد بالإسراء الرحلة الأرضية والانتقال العجيب، بالقياس إلى مألوف البشر، الذي تم بقدرة الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والوصول إليه بسرعة تتجاوز الخيال.

البراق مشتق من البريق، ولونه أبيض، وسمي كذلك لشدة لمعانه وصفائه وتألؤه. وهو الذي حمل الرسول صلى الله عليه وسلم وسار بسرعة الضوء من مكة إلى القدس ذهابا وإيابا. وتبقى المعجزة في حماية الرسول صلى الله عليه وسلم من آثار الظاهرة الطبيعية المدمرة وأضرارها.

الإسراء لغةً من السرى، وهو السير ليلا، وقال السخاوي إن الإسراء لا يكون إلا ليلا، لأن المدة التي أسري بها لا تقطع في أقل من أربعين يوما، وقد قطعت في ليلة واحدة.

المعراج هو الرحلة السماوية، الارتفاع والارتقاء من عالم الأرض إلى عالم السماء، حيث سدره المنتهى، ثم الرجوع بعد ذلك إلى المسجد الحرام. قال تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير".

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما كان نائما في الحجر، أتاه جبريل عليه السلام، فصاحبه إلى المسجد، حيث رأى دابة بيضاء بين البغل والحمار لها جناحان. وركب النبي صلى الله عليه وسلم البراق وسار إلى بيت المقدس، حيث وجد الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، فأتمهم النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة.

وبعد عودته، أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريش بما حدث، فشككوا في الأمر، لكن أبا بكر الصديق صدقه قائلا: "إن كان قال ذلك فقد صدق".

وقد كانت هذه الرحلة من أبرز الأحداث التي أظهرت مقام النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته عند الله عز وجل، وأثبتت صدق رسالته وقوة إيمانه.

صدق، فما العجب من ذلك؟ فوالله إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فأصدقه. فهذا أبعد مما تعجبون منه.

أقبل أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أحدثت القوم أنك كنت في بيت المقدس هذه الليلة؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: نعم. قال: يا رسول الله، صف لي ذلك المسجد. وأخذ الرسول يصف وحدث أبا بكر عن بيت المقدس.

قال له أبو بكر: أشهد أنك رسول الله، وكان يكررها كلما وصف له شيئاً رآه.

وفي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله، وقد سُئِلَت السيدة عائشة: هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل؟ فقالت: سبحان الله، لقد قَفَّ شعري لما قلت، أي وقف شعر رأسي. ثم قرأت: "لا تدركه الأبصار". وعن ابن عباس أنه رآه سبحانه بعين رأسه، وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه. كذا ذكرهما في المدارك. وعن أبي العالية أنه رآه بفؤاده مرتين.

وروى شريك عن أبي ذر في تفسير الآية: "ما كذب الفؤاد ما رأى". وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: هل رأيت ربك؟ قال: "رأيتُه بفؤادي ولم أره بعيني".

ذكر ابن القيم خلافاً في رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى، ثم ذكر كلاماً لابن تيمية بهذا الصدد. وحاصل البحث أن الرؤية بالعين لم تثبت أصلاً، وهو قول لم يقله أحد من الصحابة. وما نقل عن ابن عباس من رؤيته مطلقاً ورؤيته بالفؤاد، فالأول لا ينافي الثاني.

أراد الله أن يُريه من هذه الآيات الكبرى حتى يقوي قلبه ويصلب عوده، وتشتد إرادته في مواجهة الكفر بأنواعه وضلالاته. كما فعل الله تعالى مع موسى عليه السلام، حينما أراد أن يبعثه إلى فرعون، هذا الطاغية الجبار المتأله في الأرض، الذي قال للناس: "أنا ربكم الأعلى. ما علمت لكم من إله غيري".

عندما أراد الله أن يبعث موسى إلى فرعون، أراه من آياته ليقوي قلبه، فلا يخاف فرعون، ولا يتزلزل أمامه.

حينما ناجى الله عز وجل وقال: "وما تلك بيمينك يا موسى؟"

كان الإسراء والمعراج تهيئةً أيضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان تكريماً له، وكان تسلياً له عما أصابه من قومه في مكة وفي الطائف. وكان كذلك لشيء مهم جديد في حياة المسلمين، وله أثره في حياتهم المستقبلية وهو فرض الصلاة.

فرض الله في هذه الليلة الصلاة. عادة الدول حينما يكون هناك أمر مهم تستدعي سفراءها، لا تكتفي بأن ترسل إليهم رسالة، إنما تستدعيهم ليمثلوا عندها شخصياً، وتتشاور معهم.

وهكذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يستدعي سفيره إلى الخلق، محمد صلى الله عليه وسلم، ليسري به من المسجد الحرام، ثم يعرج به إلى السماوات العلى، إلى سدره المنتهى.

فرض عليه الصلاة إيداناً بأهمية هذه الفريضة في حياة الإنسان المسلم والمجتمع المسلم.

هذه الفريضة تجعل المرء على موعد مع ربه أبداً.

هذه الفريضة فرضت أول ما فرضت خمسين صلاة، ثم ما أزال النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه التخفيف بإشارة أخيه موسى عليه السلام، حتى خفف الله عنهم هذه الصلوات إلى خمس، وقال: "هي في العمل خمس، وفي الأجر خمسون". فهي من بقايا تلك الليلة المباركة.

عندما حدثت حادثة الإسراء، لم يكن بهذا المكان بناء معروف بالمسجد الأقصى، وإنما كان المكان الموجود بين أسوار الحرم الشريف بالقدس مكاناً مخصصاً لعبادة الله سبحانه وتعالى، ولم يكن مسجداً بالمعنى المفهوم حالياً، وإنما سُمي بالمسجد لأنه مكان العبادة.

وقد ظل مكان الهيكل فضاءً خالياً من أي بناء بقية عهد الرومان والنصارى. وقد حدث الإسراء والمعراج بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان المكان ما زال خالياً من أي بناء، إلا أنه محاط بسور فيه أبواب، داخله ساحات واسعة، هي المقصودة بالمسجد الأقصى.

ولهذا فتسمية ذلك المكان بالمسجد الأقصى في القرآن الكريم تسمية قرآنية، اعتُبر فيها ما كان عليه من قبل.

لأن حكم المسجدية لا ينقطع عن أرض المسجد. فالتسمية باعتباره ما كان، وهي إشارة خفية إلى أنه سيكون مسجداً ببناءً، أكمل حقيقة.

"المساجد. وصدرت المنتهى هي شجرة صدر عظيمة تقع في الجنة، السماء السابعة، وجذورها في السماء السادسة بها من الحسن ما لا يستطيع بشر أن يصف كما قال. ويذكر ويذكر أنها جميلة، وأوراقها مثل أذان الفيلة في الحجم، وثمارها كالقلال، أي الجرار الكبار، وعندها الجنة، كما جاء في القرآن الكريم عندها جنة المأوى، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى. ونزلة أخرى، أي مرة أخرى، ومعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام مرة أخرى بصورته التي خلقه الله عليها ب600 جناح. وكانت المرة الأولى التي يراه بصورته عندما نزل عليه جبريل عليه السلام بالرسالة، وقال له اقرأ، فكانت المرة الثانية التي يرى فيها النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بصورته التي خلق عليها في رحلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتعاع. ولماذا سميت بهذا الاسم؟ قال القرطبي رحمه الله في تفسيره واختلف لما سميت سدرة المنتهى على أقوال تسعة. الأول عند ابن مسعود أنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها، ويصعد من تحتها. الثاني أنه ينتهي علم الأنبياء إليها، ويعذب علمهم عما وراءها، قال ابن عباس الخامس سميت سدرة منتهى، لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء. قاله الربيع بن أنس، وكثير من الأقوال الأخرى إلى هنا، نكون قد أذهني درسنا، دمت في رعاية الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته."